

نشأة مدينة الزبير ومراحلها المورفولوجية | بحث مستل |

أ.د. ماهر يعقوب موسى

أ.م.د. مريم خيرالله خلف

مركز دراسات البصرة والخليج العربي / جامعة البصرة

Email: Maryam.khalaf.uobasrah.edu.iq

المخلص

مدينة الزبير واحدة من أقدم مدن البصرة، أسسها عتبة بن غزوان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب لأسباب عسكرية، وتعد مدينة الزبير من المراكز التجارية المهمة في تلك الحقبة الزمنية، إذ إن استمرار مرور القوافل فيها قد شجع الكثير من الأعراب على الاستقرار قرب ضريح الزبير بن العوام الذي دُفن في وادي السباع، ولهذا سميت المدينة بهذا الاسم نسبة له، وجاء هذا البحث لدراسة نشأة مدينة الزبير والمراحل التي مرت بها المدينة حتى وصلت لهذا الشكل، واختتم البحث بمجموعة من الاستنتاجات منها أن مدينة الزبير ما تزال تحتوي على مساكن قديمة مبنية من الطين تعود للمراحل السابقة، وكذلك ظهرت أولى المحاولات التخطيطية في مدينة الزبير متأخرة مما أدى إلى فوضوية البناء والتصميم في داخل الأحياء القديمة، من حيث عدم انتظام مساحات الوحدات السكنية في هذه المدن، أو ترتيب الشوارع، أو توزيع الخدمات في أماكنها الصحيحة.

الكلمات المفتاحية: نشأة الزبير، مدينة الزبير، المراحل المورفولوجية.

The emergence of the city of Al-Zubayr and its morphological stages

Assist.Prof. Dr. Maryam Khairallah Khalaf

Email: Maryam.khalaf.uobasrah.edu.iq

Assist .Prof. Dr. Maher Yaqoub Mousa

Basrah & Arabian Gulf Studies Centre / University of Basrah

Abstract

The city of Zubair is one of the oldest cities in Basra which was founded by Otba bin Ghazwan (one of the companions of Prophet Mohammed) during the region of Caliph Omar bin Alkhattab due to military motifs. It is also one of the important commercial centres in that time and it was the route for passing commercial convoys through it the reason that had contributed to make Zubair to be dwelt by many Arabs near Zubair bin Awwam shrine who was buried in wadi Alsibaa'(Beasts' Valley) and which the city is called by his name. The research address the emergence of Zubair and the stages of this process and conclude that the irregularity in distributing housing units, street patterns and the public services is due to Zubair has still ancient mould houses and that the attempts of planning the city came to be late .

Key words: the emergence of Zubair, city of Zubair , the morphological stages.

المقدمة

إن الحاجة إلى معرفة موقع المدينة ضروري في مواصلة تتبع تطور مواضعها، لأن الغرض من ذلك هو وضع بداية لنشوء هذه المدن وتتبع عوامل نموها أو تراجعها والتعرف على اتجاهات ذلك النمو، إذ أن السبب الرئيس في ظهور المدن وتطورها يعود إلى ممارستها للوظيفة التي تتسجم مع ظروف موقعها وموضعها بحيث تتشكل الخصائص العامة لها بما يدعم تلك الوظيفة.

فبناء مدينة الزبير لم يكن مسألة عمرانية بحتة، وما كان إنشاؤها وليد الصدفة العابرة، ولم يكن نموها ناتجاً عن توجة حكومي وأجهزتها في تخطيط المدن وتمصيرها، وإنما هناك أسباب ودوافع ومقدمات وظروف لكل منها جذور تاريخية متعددة في شعب التاريخ اقتضت بناء هذه المدينة.

مشكلة البحث

هل مرت المدينة بمراحل عمرانية خلال، نموها وهل كان لها تأثير على شكل المدينة الحالي، وعلى توزيع السكان ضمن الأحياء، وهل تعاني المدينة من مشاكل تخطيطية .

فرضية الدراسة : تتمثل في :

لقد كان لنشأة مدينة الزبير والمراحل التي مرت بها التأثير الكبير في ظهور الأحياء السكنية في المدينة، وبالتالي تغير في شكل المدينة من مرحلة إلى أخرى وتغير في توزيع السكان، ولا سيما أن هناك الكثير من المشكلات التخطيطية في المدينة.

هدف الدراسة

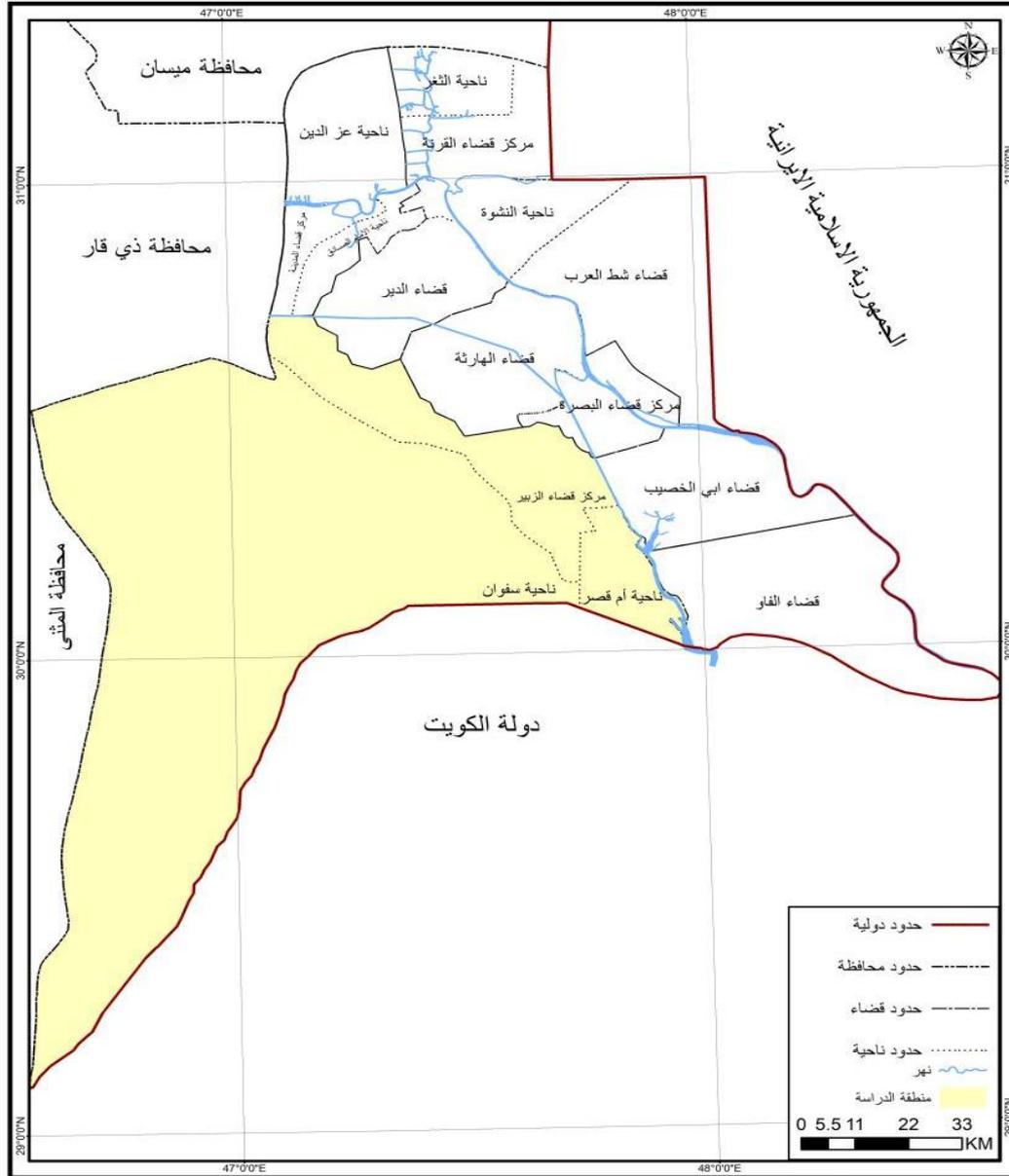
تهدف الدراسة إلى التطرق لدراسة نشأة مدينة الزبير والمراحل المورفولوجية التي مرت بها المدينة، ومدى التغير الحاصل في المدينة من حيث عدد الأحياء التي ظهرت، وأماكنها والأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الأحياء.

حدود منطقة الدراسة

يحتل قضاء الزبير موقعاً مهماً جنوبي العراق، في الجزء الجنوبي الغربي من محافظة البصرة (خريطة ١)، وهذا ما يوضح موقعها الفلكي تبعاً لخطوط الطول ودوائر العرض، فهي تقع ما بين قوسي طول (٤٧ ٣٩° - ٤٧ ٤٤°) شرقاً، وبين دائرتي عرض (٢٠° ٣٠ - ٣٠ ٢٤°) شمالاً، بمساحة تبلغ حوالي (٣٣٨٥) هكتاراً لسنة ٢٠١٠^(١)، وتوضح الخريطة (٢) موقع مدينة الزبير من قضاء الزبير، ينظر خريطة (٣) التقسيمات الإدارية للمدينة بواقع ٢٥ حياً سكنياً .

خريطة (١)

موقع قضاء الزبير بالنسبة إلى محافظة البصرة



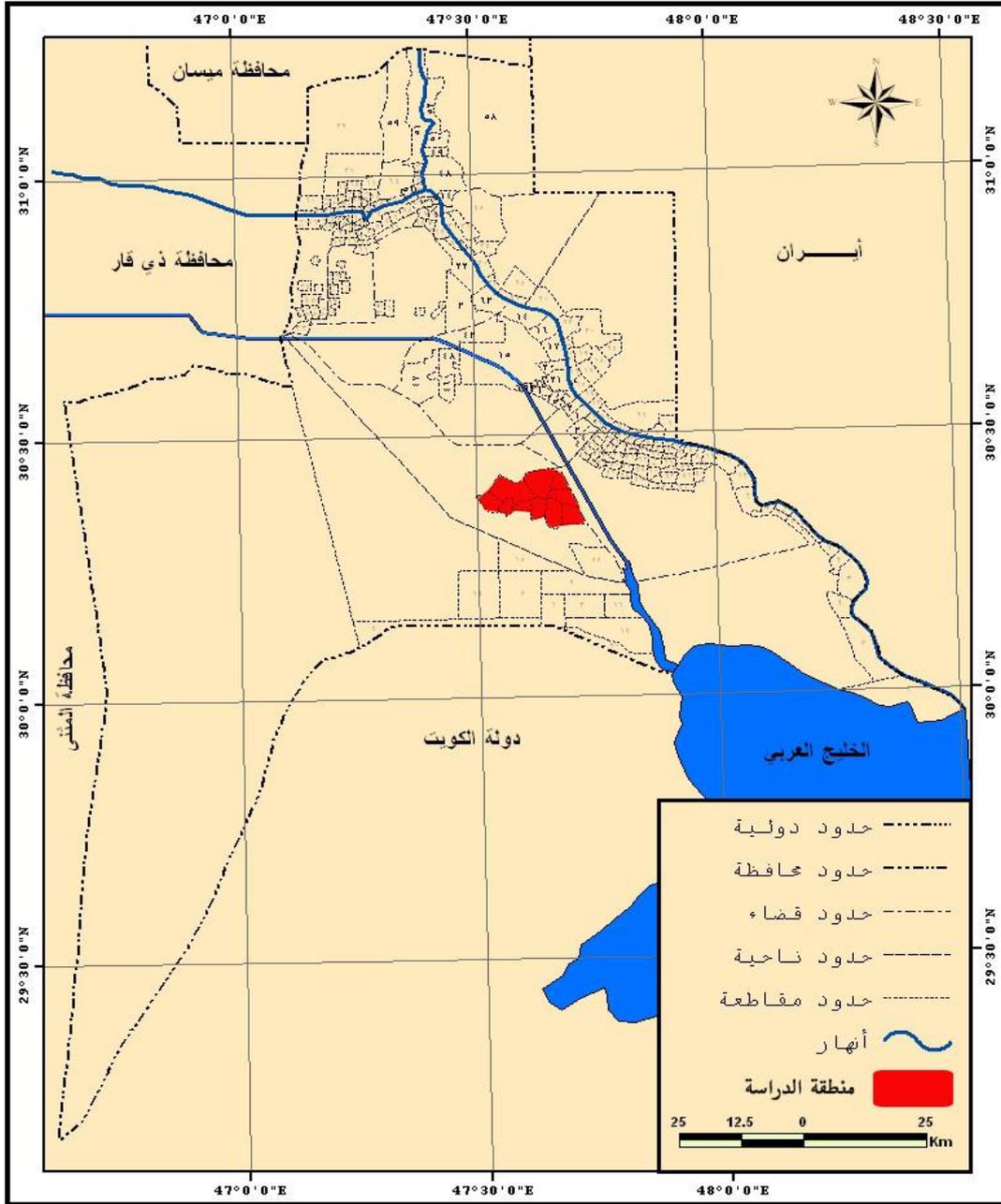
المصدر عمل الباحثة بالاعتماد على

1/ جمهورية العراق، وزارة البلديات والأشغال العامة، بلدية البصرة، قسم التخطيط والمتابعة، خريطة محافظة البصرة الإدارية لسنة ٢٠١٤ بمقياس رسم ٥٠٠٠/١

2/ برنامج (ARC GIS 10.5)

خريطة (٢)

موقع مدينة الزبير بالنسبة إلى محافظة البصرة



المصدر: وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة محافظة البصرة الإدارية، بمقياس رسم

١ : ٥٠٠٠٠٠.

٣- أولاً : التعاقب الزمني وتنمية المكان في مدينة الزبير

من الصعوبة تحديد تاريخ تأسيس مدينة الزبير لأن موضعها الحالي لم يكن خالياً من السكان عندما اتخذته العوائل المهاجرة من نجد مقراً لها، بل كانت محطة ومناخاً للقوافل التجارية القادمة من وإلى البصرة، تفرغ فيه البضائع وتحمل منه كما تنزود بالمياه .

ومنذ القرن السابع الميلادي أقيمت على مدينة الزبير الحالية مدينة البصرة العمرية التي أسسها عتبة بن غزوان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) لأسباب عسكرية^(١) .

وتعد هذه المنطقة من المراكز التجارية المهمة في تلك الحقبة الزمنية، إذ إن القوافل التجارية الصاعدة منها تتجه بتجارتها إلى الشام، النازلة تتجه إلى البحر . ونظراً لوعورة الطريق والجفاف في هذه المنطقة تضطر القوافل إلى أخذ مؤنّها من الماء والراحة عند هذه المنطقة ، فضلاً عن أن استمرار مرور هذه القوافل شجع الكثير من الأعراب على الاستقرار قرب ضريح الزبير الذي دفن في وادي السباع عام ٦٥٨م^(٢).

وبعد استيلاء العثمانيين على البصرة سنة ٩٥٣هـ (١٥٤٦م) ولاهتمامهم ببناء الأضرحة، أمر السلطان سليم الثاني ببناء قبة ومسجد قرب قبر الزبير بن العوام، وذلك عام ٩٧٩هـ (١٥٧١م)، مما شجع الناس على التجمع والاستيطان قرب المسجد تبركاً بالضريح وطلباً للأمان والاستقرار. وبعد ذلك في عام ١٧٩٧م تم بناء السور حول المدينة خوفاً من خطر الهجمات عليهم من أعراب البادية والقبائل الأخرى، ومنذ ذلك التاريخ بدأ الناس ببناء مساكنهم قرب الضريح وأصبح قبر الزبير محاطاً بالمساكن من جميع الجهات^(٣).

ويرجع سبب هجرة القبائل واستقرارها في الزبير إلى عوامل عدة، منها العامل الديني أي تبركاً بالضريح فقد استقر السكان قربه، والعامل الآخر هو العامل الاقتصادي الذي يتجلى باتخاذ مدينة الزبير سوقاً تجارياً لتبادل منتجات الصحراء بمنتجات السهل الرسوبي، فضلاً عن دور أهلها بوصفهم متعهدي نقل ووسطاء تجاريين^(٤).

وعلاوة على الحروب التي كانت قائمة بين آل سعود وابن الرشيد، والحروب الوهابية مع العثمانيين مما كان لها الأثر الكبير في شل الحركة الاقتصادية في البلاد، فتوقفت حركة الكسب والمعاش وأقفرت الأسواق مما دفع أهلها للبحث عن أسباب العيش في مكان آخر^(٥). ولما كان لموقع البصرة التجاري المهم والمستوى الاقتصادي البارز من الناحية التجارية قياساً بمستوى دول الخليج العربي آنذاك فقد انجذب السكان المهاجرين من نجد إلى البصرة وإلى مدينة الزبير^(٦)، لممارسة العمل التجاري ولخدمة القوافل التجارية.

ولا ننسى العامل السياسي ودوره في هجرة القبائل واستقرارهم في الزبير، فقد أدت الحركة الوهابية التي قامت في نجد منذ القرن الثاني عشر الهجري وما صاحبها من حروب وإخلال بالأمن إلى هجرة كثير من الجماعات منها، تخلصاً من تلك الدعوى ومن حروبها، ولم تجد الجماعات التي اتجهت نحو جنوب العراق أفضل من مدينة الزبير . لتتخذها ملجأً لها لأسباب نفسية منها وجود الضريح وأخرى بوصفها مدينة مسورة، بالإضافة إلى كون سكانها من الأعراب ذوي الطابع البدوي من حيث العادات والتقاليد^(٧) .

ولعل العامل السياسي الآخر الذي شجع على استقرار القبائل في مدينة الزبير فهو يعود إلى أن الدولة العثمانية قامت بإعفاء سكان الزبير من أداء الخدمة العسكرية وتخصيص رواتب لهم كلاً بحسب أفراد عائلته، من أجل تقديم المساعدة للقوات العثمانية للتصدي إلى هجمات الفرس على مدينة البصرة ، مما أدى إلى جذب واستقطاب الجماعات للاستيطان فيها^(٨) .

أما فيما يتعلق بالعوامل الطبيعية المتمثلة بالجفاف فهو يعد العامل الأهم الذي دفع الكثير من السكان إلى الهجرة والاستقرار في مدينة الزبير، إذ مرت على نجد فترات جفاف* حيث غارت الآبار وغلّت الأسعار وماتت المواشي، مما دفع السكان إلى الهجرة نحو الأحساء والكويت ومدن جنوب العراق التي تتوفر فيها المياه والكأ، وتتمثل مدن جنوب العراق بالسماوة وذي قار والزبير، حيث تقع الأولى والثانية على نهر دائم الجريان، أما الثالثة فتتميز بالمياه الجوفية التي تؤمن حاجة السكان من المياه .

أما سبب اختيار مدينة الزبير بالذات من دون المناطق الأخرى فإننا لم نجد معلومات تاريخية توضح أسباب هذا الاختيار. ولعل ذلك يعود إلى أن المهاجرين عندما غادروا نجداً لم يغادروها دفعة واحدة كما لم يستهدفوا المنطقة بذاتها ، بل كان جنوب العراق بصورة عامة هو هدفهم حيث المياه والخيرات ، فكانت بلدة الزبير هي محطتهم الأولى من تلك الرحلة الطويلة، فوجدوا فيها المكان الأفضل لإقامتهم لأسباب عديدة ، منها وجود عدد من النجديين في هذه المنطقة الذين كانوا يقومون بخدمة وتجهيز القوافل التجارية التي كانت تتخذ من الزبير مقراً لها^(٩) .

وتعد البيئة الصحراوية التي يتصف بها قضاء الزبير المشابهة لبيئتهم السابقة سبباً آخر في التوجه نحو القضاء. لقد كانت المدينة حتى عام ١٩٠٠ م لا تضم سوى ١٥٠٠ بيت مع مدرسة واحدة^(١٠)، ولكن بعد نهاية الحرب العالمية الأولى توقفت الهجرات القادمة

من نجد إلى الزبير لاستقرار الوضع^(١١). وبدأت هجرات واسعة قادمة من داخل العراق ولاسيما من ميسان وذي قار، لتوفر فرص العمل الكثيرة التي أوجدها البريطانيون عند احتلالهم البصرة عام ١٩١٤، وظهرت الحاجة إلى الأيدي العاملة التي لم تكن متوفرة في قضاء الزبير. حيث وفدت إليه مجموعات من المهاجرين الجدد كان معظمهم من الطبقات الفقيرة التي عملت على مد خطوط السكك الحديدية من البصرة إلى الشعبية. وكذلك بناء القاعدة العسكرية في الشعبية وما تحويه هذه القاعدة من معسكرات وأماكن وغير ذلك، فضلاً عن ذلك شيدت بريطانيا مساكن عديدة للضباط ، مما شجع المهاجرين على نقل عوائلهم معهم إلى الشعبية وإلى مدينة الزبير.

كما أن استثمار نفط حقلي الزبير والرميلة الجنوبية من شركة نفط البصرة في أوائل الخمسينات وفر الكثير من فرص العمل ، الأمر الذي أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من الأيدي العاملة إلى قضاء الزبير بصورة عامة ، ومدينة الزبير بصفة خاصة لقرها من الحقول وارتباطها بشبكة من طرق النقل معها ، وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه الهجرات تتجه من مدن العراق نحو قضاء الزبير ، كان ثمة هجرات معاكسة من قضاء الزبير إلى دول الخليج العربي، ولاسيما المملكة العربية السعودية بعد اكتشاف النفط فيها ، حيث هاجرت إلى هناك مجموعات من الأسر النجدية التي كانت تقيم في قضاء الزبير من أجل تحسين ظروفها الاجتماعية والمعيشية، وعلى الرغم من هذه الهجرات المعاكسة إلا أن انتقال الكثير من المصانع والمعسكرات إليها أدى إلى تغير طابع المدينة الجغرافي، حيث توسعت كثيراً، وأصبح السكان فيها خليطاً من مختلف المحافظات العراقية.

ثانياً مراحل تطور النمو العمراني في مدينة الزبير

إن أية مدينة لا تصل إلى الشكل الذي هي عليه الآن إلا بعد مرورها بمراحل يختلف عددها من مدينة إلى أخرى ، فالمورفولوجية ** تخلق نماذجاً وأشكالاً مادية مميزة في المظهر الحضاري للأرض لتسد حاجات اجتماعية واقتصادية للمجتمع في المنطقة أو المدينة في تلك المرحلة^(١٢). وقد مرت مدينة الزبير بالعديد من المراحل التاريخية منذ نشأتها إلى الوقت الحالي وأهم هذه المراحل هي :

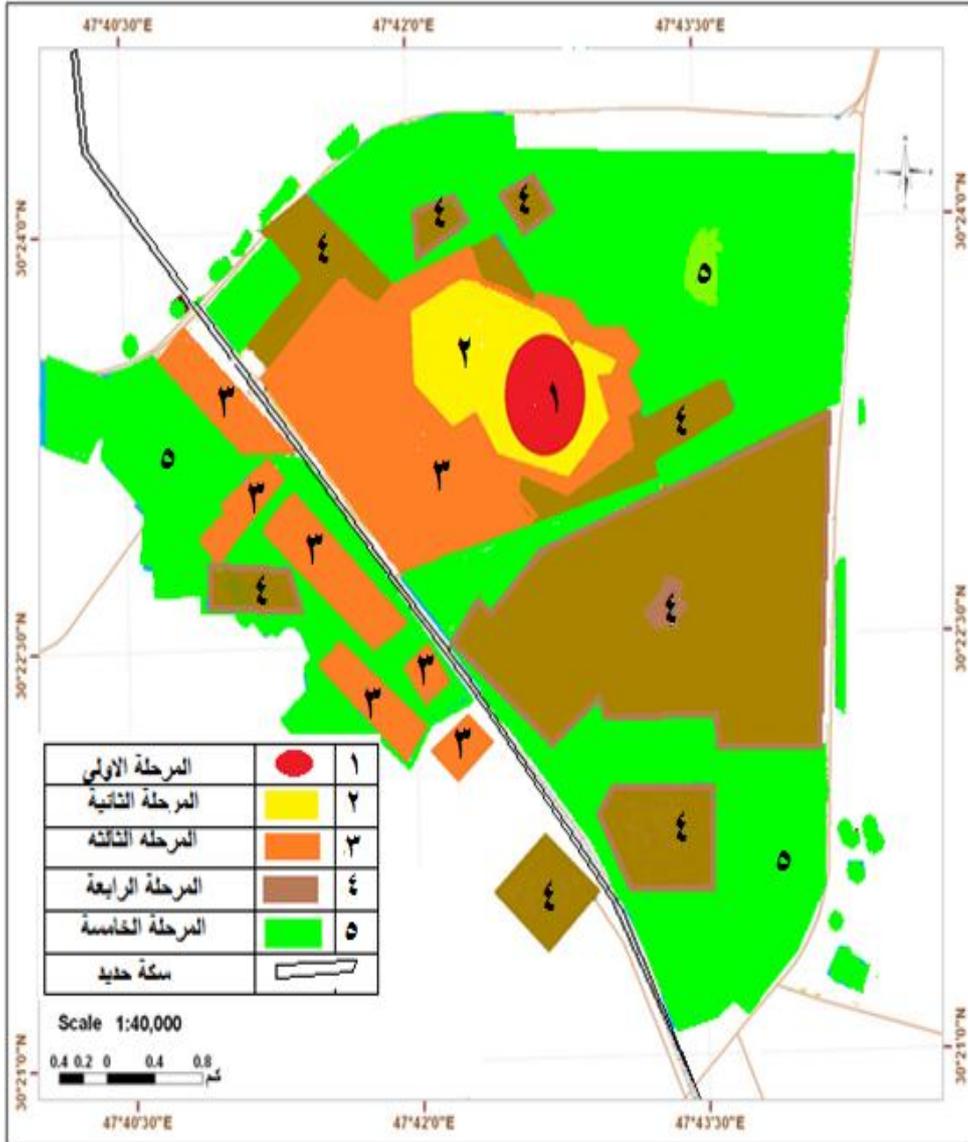
المرحلة الأولى : من النشأة حتى عام ١٨٨٢ م

تقسم مساكن هذه المرحلة إلى قسمين : الأول : المساكن المبنية من القصب والبردي التي كان يسكنها المهاجرون إلى المدينة، أما القسم الآخر فهي المساكن المبنية من الطين لوفرة هذه المادة وقلة تكاليف صناعتها . وكان يستخدم الجص كمادة لاصقة أثناء البناء . وتتصف الجدران بسمكها لتزداد قابليتها على حمل السقوف لقلة صلابتها^(١٣) . وفيما يخص سقوفها وأشكال الجدران فكانت على شكل أقواس ، وهي ذات أبواب خشبية وإطارات هذه الأبواب عادة ما تكون مبنية من الطين والطابوق^(١٤).

ويتركز هذا النمط في ثلاث محلات هي الكوت ، والشمال ، والدرواز (الجمهورية) . أما الشوارع فتتصف بضيقها لاستخدامها كوسيلة دفاعية ووقائية من أشعة الشمس. وتتصف هذه المرحلة بوجود السور الذي يحيط بها والذي تم بناؤه في عام ١٧٩٧م ، وهو على شكل بيضوي و يبلغ سمكه ٥ م ومحيطه ٣ كم وفيها أبراج تستخدم للمراقبة والدفاع عن المدينة. وقد استمر وجود هذا السور حتى عام ١٨٨٢. وفي هذه المرحلة كان هناك أيضاً ما يقارب ١٢ جامعاً ومسجداً^(١٥)، تم بناء اثنين منها قبل بناء السور، وهما جامع الزبير بن العوام ١٥٧١ ، وجامع النجادة في عام ١٦٠٤^(١٦) ، أما تصميم المساكن فقد كان يحتوي على غرفة كبيرة للاستقبال (الديوان) ، ومعظم المساكن تضم ثلاث غرف ، وغرفة كبيرة تقسم إلى قسمين: أحدهما لتربية المواشي والآخر للدواجن، بالإضافة إلى المطبخ والمشمات وهي ذات طابق واحد، كما تحتوي على السرداب الذي يقع تحت المبنى ويستعمل في الفصل الحار لطبيعته الباردة نسبياً .

خريطة (٤)

مراحل النمو العمراني لمدينة الزبير منذ النشأة حتى سنة ٢٠١٨



المصدر : جمعة مبارك عزيز الخفاجي ، تقييم خرائط استعمالات الأرض في المراكز الحضرية لقضاء الزبير باستخدام تقنيتي الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للعلوم الإنسانية ، جامعة البصرة ، ٢٠١٩ ، ص ٦٦ .

المرحلة الثانية : من ١٨٨٣ حتى ١٩٢١م

بدأت أعداد السكان بالتزايد في مدينة الزبير بعد عام ١٨٨٢، مما أدى إلى عدم استيعاب المدينة المسورة هذه الزيادة، فتم حينذاك بناء مسجد وأماكن لإيواء الحيوانات خارج السور. وفي عام ١٨٩٢ تم تشييد محلة الرشيدية في شمال المدينة، ومن ثم بدأت المدينة تزحف باتجاه الجنوب، إذ تم بناء منطقة سكنية مع جامع أُطلق عليه الزهيرية نسبة إلى آل زهير عام ١٨٩٩م .

وفي عام ١٩١٥ قامت القوات البريطانية بمد سكة حديد تقع إلى غرب المدينة خلف مقبرة الحسن البصري التي تمثل الحدود الغربية للمدينة، والتي لم تتجاوزها المدينة في هذا الوقت^(١٧) . ويعد توفر العمل في مدينة الزبير عاملاً مهماً لهجرة العديد من الناس إليها ولا سيما من القاطنين في المناطق الجنوبية من العراق، وقد استقروا في شمال المدينة في مساكن مبنية من القصب والصفیح، مما يدل على انخفاض مستوى الدخل لدى هؤلاء المهاجرين. وقد أُطلق على تجمع هؤلاء السكان محلة العرب^(١٨) . وبعد ذلك تم بناء مساكنها من الطين لاستيعاب أعداد أخرى من المهاجرين . وفي عام ١٩١٥ تم بناء سور يتصل مع الجدران الخلفية للمساكن لسد مداخل المدينة خلال الاصطدام الذي حصل بين البريطانيين والعثمانيين، وقد أزيل بعد مدة لزوال الحاجة إليه . وفيما يخص طراز البناء فهي مشابهة لبناء المدينة المسورة عدا الشوارع التي كانت أوسع وأكثر تنظيماً .

المرحلة الثالثة : من ١٩٢٢ حتى ١٩٦٤م

لقد اتصفت هذه المرحلة بالركود الاقتصادي الذي شمل جميع الأنشطة المختلفة، ويبدو أن ذلك يعود إلى الحرب العالمية الأولى وما نجم عنها من كساد اقتصادي أدى إلى غلق العديد من المحلات التجارية ، وإلغاء سوق الإبراهيم عام ١٩٢٢ ، ولكن بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى احتاجت الدول إلى تجديد وتحسين أوضاعها في الداخل . فكانت مدينة الزبير واحدة من المدن التي توجه أهلها إلى النشاطات الاستثمارية التي تتناسب مع المستوى المحلي لسكان المدينة، فقد أنشأ معمل للتلج وآخر للجص وظهر العديد من المحال التجارية والخدمية المتعلقة بالخياطة ودبغ الجلود .

وفي اوائل الخمسينيات تم استثمار نفط حقلي الزبير والرميلة الجنوبية من شركة نفط البصرة، وقد تطلب ذلك أعداداً من الأيدي العاملة القريبة من مكان العمل ، ولما كانت

مدينة الزبير مستقراً بشرياً قديماً فقد كان ذلك مدعاة لاستقرار الأيدي العاملة في الشركة المذكورة، بحيث أدى استقرارهم إلى ظهور محلة المرید في عام ١٩٥٣ غرب سكة الحديد، إذ تجاوزها البناء في هذه السنة . كما أنشأت الشركة طريقاً معبداً لربط مدينة الزبير بحقول النفط فتوسعت من جراء ذلك محلة العرب .

وفي عام ١٩٥٨ حل الحكم الجمهوري محل الحكم الملكي، وبموجب ذلك ألغي النظام الإقطاعي المسيطر على الفلاحين، فأصبح الفلاح حر التصرف مما أفضى إلى حدوث هجرة كبيرة مضافة إلى الهجرة السابقة من الريف إلى المراكز الحضرية مثلت رد فعل الفلاحين بسبب معاناتهم السابقة، وكانت محافظتا بغداد والبصرة من أكثر محافظات العراق استقطاباً للمهاجرين . بينما كانت محافظة ميسان وذي قار من المحافظات الطاردة للسكان باتجاه البصرة وبغداد .

وفي الوقت نفسه ظهر تجمع سكني يقع إلى الجنوب من محلة المرید يطلق عليه حي الفرهة والظويهرات ، والمساكن فيه عبارة عن صرائف لعدم إجازة في هذه الحقبة، فقد اتصفت بوجود المساكن المبنية من الطين إلى جانب المساكن المبنية من الطابوق والبلوك .

المرحلة الرابعة : من ١٩٦٥ حتى ٢٠٠٢ م

في هذه المرحلة ازدادت أعداد السكان في مدينة الزبير من جراء الهجرات السابقة مما أدى إلى إنشاء أحياء جديدة متمثلة بحي المعلمين، والحي العسكري، والدرهيمية، وحي الشهداء ، وحي ٧ نيسان ، والمرید الجديد ، فضلاً عن التوسع في الأحياء القديمة التي منها محلة العرب والرشيديّة والجمهورية . ومرد ذلك إلى أن الدولة قامت بتوزيع قطع الأراضي على السكان فضلاً عن التسهيلات التي يقدمها المصرف العقاري من أجل عملية البناء . وقد ظهرت دور البناء الجاهز في السبعينيات من القرن العشرين وهي دور جاهزة تابعة لوزارة الإسكان وزعت خصيصاً لعمال الدوائر التابعة للوزارة ، فيما يخص الحي العسكري ، وحي الشهداء ، والشهداء الأولى فقد وزعت قطع أراضي هذه الأحياء في أوائل الثمانينات على العسكريين وعلى أسر الشهداء والأسرى والمفقودين. أما بالنسبة لدور المرید الجديد فهي مشابهة من ناحية الطراز والتصميم لدور البناء الجاهز عدا كونها مساكن تابعة لموظفي النفط . أما أحدث أحياء مدينة الزبير في هذه المرحلة فتتمثل في الجزء الشرقي من حي الشمال الذي تم بناؤه في مدة التسعينيات ، ويتميز طراز البناء في هذه الأحياء بمشابهته مع طراز المساكن الغربية من حيث الحدائق الواسعة والمنازل الفارحة والكبيرة ذات الغرف الكثيرة، فأحياء هذه الحقبة أكثر تطوراً من الأحياء في الحقبة السابقة.

المرحلة الخامسة : من ٢٠٠٣ حتى ٢٠١٨م

بدأت هذه المرحلة بعد عام ٢٠٠٣ وهي تمثل المرحلة الأهم في تأريخ مدينة الزبير، إذ شهدت المدينة في هذه المرحلة نمواً وتوسعاً مساحياً كبيراً على مستوى جميع استعمالات الأرض، وهذا ناجم عن تغيير كامل في إيديولوجية الدولة في العراق الذي أدى إلى تغييرات كبيرة على مختلف الأصعدة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتقنية، مما انعكس على مجالات عدة منها ارتفاع مستوى الدخل لأغلبية سكان المدينة ونتج عنه زيادة الطلب على الوحدات السكنية، ولاسيما أن عدد سكان المدينة ازداد عما كان عليه في المرحلة السابقة، إذ بلغ (٢٦٢٨٧٧) نسمة لسنة ٢٠١٠، ومن ثم تطلب ذلك اتساعاً في المساحة الحضرية للمدينة، وقد حدثت عملية ملء الفراغات في الأحياء السكنية في المدينة التي كانت منتشرة في داخل الأحياء السكنية ولاسيما بالنسبة للأحياء الجديدة، وأن السبب في وجود هذه الفراغات في المراحل السابقة يعود إلى الوضع الاقتصادي الصعب في حينها بالنسبة للسكان، مما سبب ترك الأرض من دون بناء، ولكن في هذه المرحلة حدثت حركة بناء واسعة، بحيث أصبحت الأحياء السابقة مكتظة بالسكان وجاذبة لهم، أما شوارع المدينة فكانت الشوارع مستقيمة وعريضة، يتراوح عرض الشارع ما بين ٦-٢٠ متراً، وهذه الزيادة في العرض جاءت لتتماشى مع ازدياد حركة المركبات ونشاط النقل الداخلي، في حين بقيت الشوارع في المدينة القديمة على حالها ولم يحدث تغيير فيها.

لقد كان التغيير بعد سنة ٢٠٠٣ في المجالات جميعها، إذ تغير طراز البناء في معظم مساكن المدينة من الطراز الشرقي إلى الغربي، وقد ازدادت أعداد المساكن ذات الطابقين في المدينة. وكذلك اختفى الفناء الداخلي (الحوش) في أغلب الوحدات السكنية لتحل محلها التصاميم الحديثة، وازداد اهتمام السكان بالمظهر الخارجي للمسكن ومنها

استخدام الأعمدة في الواجهات (دبل فالسيوم)، واستخدمت أنواع من الشبائيك تظهر للعيان كسرف تطل على الخارج، وكذلك استخدمت الديكورات والزخارف بشكل واضح في واجهات المساكن، فضلا عن استخدام المواد الجيدة في البناء ذات المتانة، ومنها الطابوق والأسمنت، مع استخدام أنواع الكاشي المزخرف في أرضيات المساكن، وبلغت مساحة الوحدة السكنية في هذه المرحلة من ٢٠٠ م^٢ - ٢٤٠٠ م^٢، ولكنها ازدادت في بعض المساكن لتصل إلى أكثر من (٦٠٠ م^٢)، مما أدى إلى ازدياد عدد الغرف في الوحدات السكنية مع ازدياد المساحة المبنية، وقد تم إنشاء العديد من المدارس النموذجية في المدينة فضلا عن إنشاء العديد من دوائر الدولة وبمبان جديدة وحديثة، وكذلك تم إنشاء العديد من المنتزهات والحدائق، وكذلك تم إنشاء ملعب لكرة القدم، وظهر العديد من الأحياء السكنية بعد سنة ٢٠٠٣، إذ تم تشييد محلة الحسين (الريسز) جنوب شرق المدينة ومحلة الخطوة شرق مدينة الزبير ومازالت قيد التشييد، حتى بلغ عدد محلات المدينة ٢٥ حياً سكنياً، وأصبح شكل المدينة أشبه بالمثلث رأسه في الشمال الشرقي وقاعدته في الجنوب الغربي فوق مساحة تبلغ ٣٣٨٥ هكتاراً^(١٩)، وتعود هذه الزيادة إلى استقرار الأوضاع في المدينة وتحسن الوضع الاقتصادي للسكان وكذلك الهجرة التي حظيت بها المدينة وبصفة خاصة بعد عام ٢٠٠٣، وعودة الكثير من أبناء المدينة من الخارج والداخل.

الاستنتاجات

يمكن ان نحدد أبرز الاستنتاجات التي توصل إليها البحث بالآتي :

- ١- إن قضاء الزبير يمتاز بموقع جغرافي مهم ولهذا فهو يحتل مكانه مرموقة من البلد .
- ٢- لم تنشأ مدينة الزبير بصورة عفوية ولم تكن من المدن الجديدة بل تمتد جذورها في أعماق التاريخ .
- ٣- ما تزال المدينة تحتوي على مساكن قديمة مبنية من الطين تعود للمراحل السابقة .
- ٤- ظهرت أولى المحاولات التخطيطية في مدينة الزبير متأخرة، مما أدى إلى وجود فوضوية في داخل الأحياء القديمة من حيث عدم انتظام مساحات الوحدات السكنية في هذه المدن أو ترتيب الشوارع أو توزيع الخدمات في أماكنها الصحيحة.
- ٥- برزت واعتبارا من المرحلة الرابعة التصاميم الغربية للمساكن، والقائمة على الانفتاح نحو الخارج واختفاء التصاميم الشرقية، وهذا التغير هو انعكاس لحالة التطور الحضاري بهدف توفير البيئة السكنية الملائمة.
- ٦- استخدام مواد بناء جديدة وثابتة كالبابوق والبلوك والثرمستون والقواطع الخرسانية في بناء الجدران، وكذلك في عمل السقوف، واستخدام الحديد والألمنيوم في عمل شبابيك المساكن، وهذا دليل على حصول تطور واضح في أساليب البناء .

الهوامش

- (١) محمد خضير ، بصر يائنا .. صورة مدينة ، منشورات الأمد ، بغداد ، ١٩٩٣ ، ص ٩٠ .
- (٢) محمد بن سعد الرقراق ، لمحات من ماضي الزبير ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٩٩٤ ، ص ١٢ .
- (٣) محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تأريخ الجزيرة العربية، دراسات الخليج العربي، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٣ .
- (٤) حسين علي عبيد القطراني ، الزبير في العهد العثماني ١٥٧١م- ١٩١٤م ، دراسة في الأحوال العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٨ ، ص ٨٩ .
- (٥) داؤد جاسم الربيعي ، قضاء الزبير دراسة في الجغرافية البشرية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٧٤ .
- (٦) ياسين طه ياسين هارون ، البصرة دراسة في الأحوال الاقتصادية والسياسية بين عامي ١٩٣٢م- ١٩٣٩م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٠ ، ص ٩٠ .
- (٧) داؤد الربيعي ، قضاء الزبير دراسة في الجغرافية البشرية ، مصدر سابق ، ص ٧٣ .
- (٨) حسين علي عبيد القطراني ، مصدر سابق ، ص ٨٩ .
- (* الجفاف الذي أصاب نجد وسبب الهجرة كان الأول عام ١٧٢٣ والأخير عام ١٨٧٣م وبعد ذلك قلت نسبياً الهجرات بعد اختفاء العوامل الطاردة التي أثرت سلباً على نجد .
- (٩) محمد بن سعد الرقراق ، مصدر سابق ، ص ٣٧ .
- (١٠) السكندر اداموف ، ولاية البصرة ماضيها وحاضرها ، منشورات دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٢ ، ص ٩١ .
- (١١) عبد العزيز ، محمد المنصور ، الكويت وعلاقتها بعرستان والبصرة ، منشورات ذات السلاسل ، بالكويت ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ١٠٤ .
- (**) المورفولوجية ، يقصد بها أي فترة من التاريخ الحضري للمنطقة .
- (١٢) خالص الأشعب ، المدينة العربية ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ١٨ .
- (١٣) داؤد جاسم الربيعي ، قضاء الزبير ، دراسة في الجغرافية البشرية ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ .
- (١٤) عيسى سلمان وآخرون ، العمارة العربية الإسلامية في العراق ، الجزء الأول ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٤٥ .
- (١٥) سلمان مغامس عبود ، التركيب الوظيفي لمدينة الزبير ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / جامعة البصرة ، ١٩٨٩ ، ص ٤٧ .
- (١٦) محمد بن سعد الرقراق ، مصدر سابق ، ص ١٣ .
- (١٧) سلمان مغامس عبود ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .
- (١٨) محمد بن سعد الرقراق ، مصدر سابق ، ص ١٣ .
- (١٩) قاسم مطر عبد الخالدي ، النمو الحضري وأثره في التخطيط العمراني لمدينة الزبير، أطروحة دكتوراه . كلية التربية للعلوم الإنسانية ، البصرة ، ٢٠١٣ ، ص ٥٣ .

المصادر

١. اداموف ، السكندر ، ولاية البصرة ماضيها وحاضرها ، منشورات دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٢ .
٢. الأشعب ، خالص ، المدينة العربية ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .
٣. الخالدي ، قاسم مطر عبد، النمو الحضري وأثره في التخطيط العمراني لمدينة الزبير، أطروحة دكتوراه . كلية التربية للعلوم الإنسانية ، البصرة ، ٢٠١٣ .
٤. خضير ، محمد ، بصريًا .. صورة مدينة ، منشورات الأمد ، بغداد ، ١٩٩٣ .
٥. الدحلوي ، خلف جاسم محمد، محافظة البصرة (دراسة في الجغرافية الإقليمية) الجزء الثاني ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب ،جامعة الإسكندرية ،١٩٨٣ .
٦. الربيعي ، داؤد جاسم ، قضاء الزبير دراسة في الجغرافية البشرية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٨ .
٧. سلمان ، عيسى وآخرون ، العمارة العربية الإسلامية في العراق ، الجزء الأول ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨٢ .
٨. عبود ، سلمان مغامس ، التركيب الوظيفي لمدينة الزبير ، رسالة ماجستير ، كلية التربية / جامعة البصرة ، ١٩٨٩ .
٩. الفطواني ، حسين علي عبيد ، الزبير في العهد العثماني ١٥٧١م - ١٩١٤م ، دراسة في الأحوال العمرانية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٨٨ .
١٠. محمد، رعد ياسين ،التركيب الاجتماعي لمدينة الزبير، رسالة ماجستير ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٩٠ ،
١١. المنصور ، عبد العزيز محمد المنصور ، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٨٠ .
١٢. النبھاني ، محمد بن خليفة ، التحفة النبھانية في تأريخ الجزيرة العربية ، دراسات الخليج العربي ، ط٢ ، ١٩٨٠ .
١٣. هارون ، ياسين طه ياسين ، البصرة دراسة في الأحوال الاقتصادية والسياسية بين عامي ١٩٣٢م - ١٩٣٩م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، ١٩٩٠ .
١٤. مديرية بلدية الزبير ، خريطة التصميم الأساس لمدينة الزبير ، ٢٠١٥ .
١٥. وزارة الموارد المائية ، الهيئة العامة للمساحة ، خريطة محافظة البصرة الإدارية لسنة ٢٠١٤ ، بمقياس رسم ١ : ٥٠٠٠٠٠ .
١٦. صورة جوية لمدينة الزبير ملتقطة سنة ٢٠٠٧ .
١٧. الدراسة الميدانية.